

(١)

### رمضان شهر البر والصلة والتعرض لرحمات الله

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد:**

فإن شهر رمضان المبارك شهر الطاعات والنفحات والرحمات، شهر الصيام والقيام والصلة والموودة والتعاون على البر والتقوى، شهر يُختبر فيه المسلم في صبره واحتسابه ومراقبته لله (عز وجل)، فالصائم يتحمل الجوع والعطش، ويكبح جماح النفس، ويصبر على الأذى، إلى جانب التقرب إلى الله تعالى بالطاعات المختلفة؛ كقراءة القرآن، والذكر، وقيام الليل، والصدقات، والصلح بين الناس، وبذل كل خير فيه مصلحة البلاد والعباد، وذلك من الإحسان الذي يستجلب به العبد رحمة الله (عز وجل)، حيث يقول (سبحانه): {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): {إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِئِنَّكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مَغْلَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مَغْلَقًا لِلْخَيْرِ}.

إن شهر رمضان المبارك ميدان للتنافس في أعمال الخير والبر، حيث يتسابق فيه العباد بخالص الأعمال تقرباً إلى الله (عز وجل)، ولقد كان هذا حال النبي (صلى

(٢)

الله عليه وسلم) في رمضان ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ .

فرمضان مجال واسع للبر ، وبخاصة إطعام الطعام الذي هو من سمات هذا الشهر الكريم ، وسمه من سمات ديننا الحنيف ، يقول سيدنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ (رضي الله عنه) : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ ، فَكُنْتُ فِي مَنِّ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : (أَيُّهَا النَّاسُ: أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) ، فقد اشتمل كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) على أربع خصال ، ثلاث منها تتصل بالعلاقات بين الناس ؛ وهي : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وصلة الأرحام ، والرابعة تتعلق بالعلاقة بين العبد وربّه ؛ وهي : الصلاة بالليل والناس نيام ، وقد سأل رجل النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ : (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

وينبغي للإنسان أن لا يستصغر أو يحتقر شيئاً من المعروف ، فإنه لا يدري أي عمل يقبله الله (عز وجل) ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ صِلَةَ الْحَبْلِ ، وَلَوْ أَنْ تُعْطِيَ شِسْعَ النَّعْلِ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تُنْحِيَ الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ يُؤْذِيهِمْ ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْطَلِقٌ ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ فَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوَحْشَانَ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ سَبَّكَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فَيْكَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِيهِ نَحْوَهُ ، فَلَا تَسْبَهُ فَيَكُونَ أَجْرُهُ لَكَ وَوَزْرُهُ عَلَيْكَ ، وَمَا سَرَّ أَدْنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا سَاءَ أَدْنَكَ أَنْ تَسْمَعَهُ فَاجْتَنِبْهُ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) ، قَالَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ

(٣)

يَجِدُ؟ قَالَ: (يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ)، قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ؟  
قَالَ: (يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلَ؟ قَالَ: (يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ  
بِالْعَدْلِ)، قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ؟ قَالَ: (يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ  
صَدَقَةٌ).

على أننا نؤكد أن البر اسم جامع لكل خصال الخير ، ولكل فعل يرضي الله (عز  
وجل) وينفع الناس ، وجماع ذلك كله في حسن الخلق ؛ لذا قال النبي (صلى الله  
عليه وسلم): (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) ، كما أن الوفاء والاعتراف بالفضل والجميل لأهل  
الفضل خلق أصيل لا يتحلى به إلا النبلاء ، والله در القائل:

إن الوفاء على الكريم فريضة واللوم مقرون بذى الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم بجانب الإنصاف

ويقول الآخر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ومن أعظم صور البر الصلة والتواصل بين الأهل والأقارب والجيران والناس  
جميعاً، وذلك من أكبر عوامل تحقيق التآلف والترابط ، ونشر قيم التراحم بين الناس  
كافة ، فرمضان لا مجال فيه للتشاحن ولا للمتشاحنين ، وإذا كان رمضان شهر الصلة  
ففي مقدمة هذه الصلة يأتي أمران : صلة الرحم ، وقد بين النبي (صلى الله عليه  
وسلم) قدرها ومكانتها في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة سبحانه: (أَنَا  
اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِيمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ  
قَطَعَهَا بَتَّتُهُ) ، ثم قال نبينا (صلى الله عليه وسلم): اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى:  
{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ  
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ \* أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } ،  
ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُعْفَرُ

(٤)

اللهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِينَ لِكُلِّ امْرِيٍّ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: ائْتَرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا).

ولقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) صلة الأرحام من دعائم الإيمان التي دعا إليها (صلى الله عليه وسلم) في بداية بعثته ، فعن عمرو بن عبسة قال : دخلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) -يعني في أول النبوة- ، فقلت: ما أنت؟ قال: (أنا نبيُّ الله)، قلت: وما نبيُّ الله؟ قال: (رسولُ الله)، فقلت: آلهُ أُرْسَلَك؟ قال: (نعم) ، قلت: يَا نَبِيَّ شَيْءٌ أُرْسَلَك؟ قال: (بِأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ) ، وجعلها (صلى الله عليه وسلم) علامة من علامات الإيمان ، فقال: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ) ، وأكد على ذلك قوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}.

الجانب الآخر من الصلة هو صلة كل من حولك ، فلا تقطع أحداً، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَجِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيَعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) ، وليس معنى ذلك أن يبدأ بالسلام إذا لقيه في الطريق فحسب ، إنما يبدأ بالسلام بكل ما تعنيه كلمة السلام بمفهومها الشامل ، بأن يكون السلام سلاماً حقيقياً ، لا شكلياً ، ليس مجرد سلام باللسان ونكران بالقلب ، إنما هو سلام مع النفس ، مع الصديق ، مع الأهل ، مع الجار ، مع الزميل ، مع الإنسان ، مع الحيوان ، مع الجماد ، مع الكون كله ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}.

**أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.**

\* \* \*

(٥)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
**إخوة الإسلام:**

لقد اقتضت حكمة الله (عز وجل) أن جعل العشر الأواخر من شهر رمضان فرصة للمحسن أن يستزيد من الخيرات ، وللمقصر أن يستدرك ما فات ، فهي أيام مليئة بالنفحات الإلهية والعطايا الربانية التي امتن الله (عز وجل) بها على عباده ، فحري بكل مسلم أن يتعرض فيها لرحمات الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ؛ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) ؛ لذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يخص العشر الأواخر من رمضان بمزيد من العبادة والطاعة ، والإقبال على الله (عز وجل).

ومن الأمور التي يجب أن نحرص عليها في إحياء العشر الأواخر من رمضان **الاجتهاد في إحياء الليل** ، تأسياً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يجتهد في هذه العشر ما لا يجتهد في غيرها من الأيام ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل العشر شدّ منزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله) ، وعن عائشة -أيضاً- قالت: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخلط في العشرين الأولى من نومٍ وصلاته، فإذا دخلت العشر جدّ وشدّ المنزر). .

ولقد اختص الله تبارك وتعالى الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان بليلة من أعظم الليالي وأفضلها ؛ ألا وهي ليلة القدر ، إكراماً منه سبحانه لأمة حبيبه (صلى الله عليه وسلم) ، فعن مجاهد (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذكر رجلاً

(٦)

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السَّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ ، قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} ، فعبادة هذه الليلة بإخلاص تفوق الجهاد في سبيل الله مدة ألف شهر في سبيل الله .

ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن قيام هذه الليلة سبب في مغفرة الذنوب، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) ، ومن ثم فعلى المسلم أن يحرص على إحياء هذه الليلة العظيمة ، تقرباً إلى الله (عز وجل) ، وطمعاً في مغفرته، وقد حثنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) على تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ، لما فيها من كثرة العطاء والكرم الإلهي ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : ( تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ) ، وفي رواية : (الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ - لَيْلَةَ الْقَدْرِ - فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى).

ومن أهم الأعمال الصالحات في هذه الأيام إخراج صدقة الفطر التي هي طهرة للصائم وطعمة للفقراء والمساكين ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللِّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ) .

ومنها : **الاجتهاد في الدعاء** : فإذا كان الدعاء في شهر رمضان أرجى للقبول فهو في العشر الأواخر منه أشد رجاءً ، وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قُلْتُ يَا

(٧)

رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتَ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: (قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي).

فلنحرص على أن نغتنم هذه الأيام الفاضلة ، وليلة القدر المباركة بالذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وكل ما يقربنا إلى الله (عز وجل) ، حتى لا نكون من المحرومين من رحمة الله تعالى فيها ، فإن الحرمان في هذه الليلة هو الحرمان الحقيقي ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (...لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ..).

**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .**